10/2/00

"رحلة في خفايا الذات الإنسانية"

وعي يتطوّر لبلوغ درجة الحكمة

دراسة الانسان هي بداية الوقوف على جانب من حقيقة الوجود، من خلال الفكر الانساني التطبيقي الذي، خلافا للاعتقاد السائد، لا يقتصر على المعادلات النظرية او المعادلات الحسابية المحسومة، ولا يتوقف عند حدود الابداع التكنولوجي المادي الطاغي في عصرنا على كل ابداع انساني آخر، بل هو الرابط العلمي الدقيق بين عالمين مختلفين، عالم الحقيقة المطلقة المرتبط بالكون، وعالم الواقع المحسوس المرتبط بوجود الانسان على الارض. ويبدو ان هذا الفكر الانساني التطبيقي قاعدة علمية متكاملة، تقدمه سلسلة علوم الايزوتيريك الى قرائها، وكل من اطلع على علوم الايزوتيريك تحقق من انها علم الانسان منذ بدأ يعي نفسه.

ذاك ما يستشفه القارئ حين يتعمق في مؤلفات الايزوتيريك التي بلغ عددها الى الان ثمانية وعشرين للدكتور جوزيف مجدلاني (ج ب م)، حيث الانسان دوما المحور، والحياة نفسها رحلة التطور في الوعي والوعي في التطور، رحلة سباعية الابعاد، جل ما تتطلبه التجرد والجرأة في تقويم النفس ومواجهة سلبياتها في اسلوب علمي وعملي دقيق.

ولا يبخل مؤسس علوم الايزوتيريك على قرائه بالجديد المثير، وجديد مجدلاني للسنة ٢٠٠٠ "رحلة في خفايا الذات الانسانية"، كتاب يضع القارئ في حال من التعمق الوجداني والوجودي، فاذا بك تقرأ باحاسيسك لا بعينيك، وتتفاعل مع الكلمات فكرا ومشاعر. والكتاب هذا رحلة علمية باطنية، تفسر بوسائل علمية "ان مواجهة النفس اشد فاعلية واصدق هدفا من مواجهة الآخرين، ومحاربة الصفات السلبية في النفس مباشرة، لهي اقوى تأثيرا من محاربتها من خلال الاخرين". ومواجهة النفس اشد صراع يجسده الكاتب في بلاغة وشفافية حتى يخال القارئ انه يلامس النفس البشرية والحقيقة الانسانية في آن واحد. فالمجدلاني اثبت انه قادر على "تشريح" الاحاسيس وحتى الافكار في دقة متناهية، ومنح الابعاد لتعابيرها، فيخال القارئ نفسه أمام مشاعره وافكاره التي عجز عن التعبير عنها كما لو انه بطل تلك "الرحلة". يركز الكاتب في رحلته على الفعل العملاني للارادة الانسانية ومقدراتها، وحقيقة مفهومها ويصفها كالآتي: "بالارادة فقط تستطيع ان تتغلب على نفسك وتحقق البطولة، ان ترويض النفس، وازالة صفات واكتساب اخرى، يستحيل ان يتم الا من خلال الارادة. فهي العمود الفقري لمنهج السيادة على النفس وتحقيق الذات. والانسان الذي يفتقر الى قوة الارادة يصبح العوبة في يد الزمن، وفي يد المصير والحياة، وحتى في الشؤون العملية الاعتيادية. الانسان الذي يفتقر الى ارادة القرار، يفتقد عنصر الالوهة فيه. عنصر الاكتمال بوعيه". تماما كما جسد الكاتب بطل هذه الرحلة الذي كان يشكو ألم الفراغ والضياع قبل وعيه بعد الارادة في كيانه، اذ كان يسير تائها بلا هدف، وبات، في نهاية الرحلة سيد نفسه ومصيره.

لكن التسلح بالارادة لمواجهة النفس لا يكفي لان "الارادة القوية في حاجة الى ترويضها بالمحبة. وبقوة المحبة يستطيع المرء اكتساب الحكمة، والحكمة ميزة الالوهة في الانسان". والمحبة التي يتحدث عنها علم قائم بذاته، يجمع بين المشاعر والفكر، بحكمة نتيجتها الوعي، وليست ذاك الشعور المعنوي القائم على جعل الانسان لعبة في يد المصير، بل على العكس، الانسان سيد نفسه ومصيره تماما كما بدا بطل هذه الرحلة الفريدة.

اما عن الوعي ووسيلة اكتسابه فيقول الكاتب: "الوعي هو فعل اختبار لا يكتسبه المرء الا من خلال احتكاكه مع الناس مباشرة. وبما ان الوعي اكتساب دائم فهو يتعلق بكل ما يمت الى الانسان بصلة حتى بالمحبة". ذاك الوعي هدف كل انسان على الارض، وحاجته او سبب وجوده عليها، كي يسعى الى تطوير نفسه ووعي انسانيته في كل ابعادها من خلال التطبيق العملي الحياتي اليومي. فالانسان في مختبر الايزوتيريك حقيقة مجردة، تغشيها السلبيات، وتتعامل على نحتها وصقلها معطيات عدة لابراز وهجها، وهج النور الذي تمثله، وتلك المعطيات هي كل من الفكر والمحبة والارادة والحكمة. وهي مجتمعة تمثل ميزان الازدواجية، ونتيجة توازنها العملية الوعي. فالوعي ارتقاء باتجاه الاصل اي باتجاه الوحدة. في الانسان "كل شيء من الكون، وفيه كل شيء على الارض. لانه العالم الصغير – الكبير".

مسار الوعي الذي يدمج بين الفكر الانساني الخلاق وعلم المحبة التطبيقي، هو اساس تطور الانسان على الارض نحو وعي اشمل، نحو الارادة وعلى رأسها الحكمة. انه الوعي الذي لا يتحقق من دون معاناة تتمثل في الصراع النفسي الداخلي بين القديم المتأصل في النفس والجديد الذي يحاول اختراق حجب السلبيات المتراكمة التي تشكل حاجزا كثيفا بين الذات العليا – الانسانية – والنفس الدنيا – البشرية. وعبر الكاتب عن ذلك قائلا: "من خلال الفكر نضجت المحبة، ومن خلال الارادة عمق الفكر وتضخ بالحكمة واكتسب حدة المدارك فصار يفضل الصمت على الكلام، وصار يفهم بالصمت ما لا يقوله الكلام... ووجد نفسه يتعاطى مع الصمت اكثر مما يتعاطى مع الكلام، فيحقق له الصمت ما لا يحققه له الكلام". هكذا تظهر وحدة الانسان في ابعاده الذاتية التي ان لم تتضافر مع بعضها البعض ادت الى عذاب الانسان او الى التطرف في احد اتجاهات الازدواجية. والازدواجية ليست عقبة تعوق المرء عن التطور الذاتي انما، وكما ورد في مقدمة الكتاب "الانسان هو الذي عقد نفسه فيدا له مسار التطور معقدا، متهما بذلك ازدواجية الحياة التي ليست سوى الحافز للتطور في الوعي عبر اعادة التوازن في النفس من جهة، وبين النفس والذات من جهة اخرى، فرحلة بعد مرحلة بلوغا الى الحكمة" والحكمة لا تتفتح في الذات الا بالتعامل مع الاخرين، فالحكمة ميزة طالب المعرفة الذاتية مهما يكن مستوى وعيه. الحكمة درجات ايضا، كلما ارتقت، تفتح الانسان على مشاعر الالوهة في ذاته".

يختصر الكاتب في بلاغة ابعاد الكيان الانساني وماهيته موضحا معطياته كلما وارتباطها بعضها ببعض، ومسار تطورها في الحياة اليومية، المعيشية جاعلا من كتابه رحلة ولا كل الرحلات يتحد فيها القارئ ببطل الرواية وكاتبها، ويجول بين الحقائق والاسرار الكبرى تماما كما يجوب واقع الجسد، فتغتني الروح بغذائها، ويتشبع الجسد بغذاء جديد، فلا ننسى الباطن او نهمل الجسد.

"رحلة في خفايا الذات الانسانية" يمثل اكتمال مرحلة حياتية وبداية اخرى هي باب العبور للالفية الثالثة، نحو ادب باطن الانسان. وساهم الكتاب في تتويج عملية تشذيب انسان المستقبل وخلقه. كما ساهمت الكتب السبعة والعشرون التي سبقته في التأسيس للخلفية الشاملة لهذا الانسان. وكما يلاحظ متتبعو مؤلفات علوم الايزوتيريك، تقول لنا هذه العلوم ان العصر المقبل هو عصر انسانية الانسان، عصر يقظة الحقيقة الانسانية فيه كي يتعمق في فهم ذاته بعدما تعمق في فهم المادة من حوله، وانسان الايزوتيريك هذا هو كل انسان على الارض.

هيفاء العرب